

Dossier du mois : سلسلة أعمال القلوب

Partie 1 : الإخلاص

خلق الله الخلق لعبادته ، وأمرهم بطاعته ، وجعل سبحانه للأعمال ركنين لا يقبل عملاً إلا بهما : أن يكون العمل خالصاً لله ، وصواباً على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : (الذي خلق الموت والحياة ليبولكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور)

هو أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً .. ثم قرأ قوله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

الإخلاص - أيها الأحبة - هو مسك القلب ، وماء حياته ، ومدار الفلاح كله عليه .

إن الذي يعمل بغير إخلاص ولا اقتداء كمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه - كما قال ابن القيم - رحمه الله .

ولهذا سيأتي أقوام يوم القيامة بأعمال كالجبال لكنها لا تنفعهم لأنها فقدت أهم شروط قبولها .. الإخلاص : (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)

فما هو الإخلاص إذا ؟

لقد تعددت تعريفات العلماء للإخلاص لكنها تدور حول معنى واحد وهو ترك الرياء ، بمعنى أن يكون قصد العبد من أعماله رضا الله .. رضا الله فقط ، يقول الإمام الغزالي رحمه الله :

(كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ، ويميل إليه القلب ، قلّ أم كثر ، إذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوه ، وزال به إخلاصه ...)

قال سهل بن عبد الله التستري : نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا : أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى ، لا يمازجه شيء ، لا نفس ، ولا هوى ، ولا دنيا .

عزة الإخلاص وصعوبة تحصيله :

مما لا شك فيه أن تخليص الأعمال من شوائب حظوظ النفس من الرياء ، والتسميع ، وحب المدح والثناء .. وغيرها من الآفات والشهوات أمر شاق على النفوس ، ولهذا قيل : أشد شيء على النفس الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب .

وقيل : تخليص الأعمال على العمّال أشد عليهم من جميع الأعمال .

وقالوا : إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز .

قال الغزالي - رحمه الله - : (... فلذلك قيل : من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله نجا ، وذلك لعزة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب ، بل الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب القرب من الله تعالى)

الأسباب المعينة على تحقيق الإخلاص :

إن أعظم أسباب تحقيق الإخلاص هو تعظيم الرب سبحانه وتعالى ويقين العبد باطلاع الرب عز وجل عليه ، وعلمه سبحانه بمكونات الصدور : (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور).

ومنها : نسيان رؤية الخلق ، بمعنى ألا يقيم للناس وزناً عند تعامله مع ربه سبحانه وتعالى ، فيحرص على رضا ربه دون نظر إلى مدح الناس أو ذمهم .

ومنها : إخفاء العمل ، فكلما كان العمل بين العبد وبين ربه كان ذلك أقرب إلى الإخلاص ، ولهذا وجدنا كثيراً من السلف يخفون أعمالهم عن الخلق مخافة الرياء . حتى أن أحدهم ليدخل في فراشه ، ثم يخادع زوجته ، فإذا علم أنها قد نامت قام فصلى .

وما أحلى قول نبينا - صلى الله عليه وسلم - في السبعة الذي يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : " **ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه** "

ومنها : الإكثار من دعاء الله أن يرزق العبد الإخلاص ، وأن يعيده من الرياء ، ومن أجمع الأدعية في ذلك : " **اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلمه ، وأستغفرك لما لا أعلمه** " . وكان عمر يسأل ربه الإخلاص فيقول : **اللهم اجعل عملنا كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد من خلقك فيه شيئاً** .

من فضائل الإخلاص :

للإخلاص فضائل عظيمة وأثار جلية ، منها :

1- **تعظيم العمل ، وتكثير الثواب :**

فقد يكون العمل في ذاته يسيراً أو صغيراً لكن يعظم أجره بالنية الصالحة، قال الله عز وجل : (**والله يضاعف لمن يشاء**)

قال ابن كثير : أي بحسب إخلاصه في عمله .

ويقول ابن المبارك - رحمه الله - **رُبَّ عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية** .

2- **حفظ القلب من الخيانة والحقد :**

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " **... ثلاث لا يُغَلُّ عليهن قلب امرئٍ مؤمن (أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق) : إخلاص العمل لله ، والمناصحة لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن دعاءهم يحيط من ورائهم** " ...

3- **حفظ الأمة وتحقيق النصر :**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ، بدعوتهم ، وصلاتهم ، وإخلاصهم** " .

4- **حفظ العبد من الآفات المهلكة :**

قال الله عز وجل : (**... كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين**)

5- **النجاة من الشدائد :**

ففي حديث الثلاثة الذين انسد عليهم الغار أنهم توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم التي فعلوها ابتغاء وجه الله ، **ففرج الله عنهم**.

6- **الحفظ من تسلط الشيطان :**

قال الله سبحانه وتعالى حاكياً عن إبليس : (**فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين**)

7- **رفعة الدرجات :**

قال صلى الله عليه وسلم : " **إنك لن تُخَلَّف فتعمل عملاً تبغى به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة** " .

قال صلى الله عليه وسلم : " من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة " .

أخيراً اعلم أيها الأخ الحبيب أن تحقيق الإخلاص عزيز ، لذا فإنه يحتاج إلى مجاهدة قبل العمل وأثناءه ، وبعده، حتى يكون عمل العبد لله، فالمخلصون_ كما ذكر ابن القيم-:"أعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله؛ فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحده لا يريدون بذلك من الناس جزاءً ولا شكوراً، ولا ابتغاءَ الجاهِ عندهم، ولا طلبَ المحمديَّةِ والمنزلةِ في قلوبهم، ولا هرباً من ذمهم. بل قد عدوا الناسَ بمنزلةِ أصحابِ القبور؛ لا يملكون لهم ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشوراً.

فالعملُ لأجلِ الناسِ وابتغاءِ الجاهِ والمنزلةِ عندهم ورجائهم للضرِّ والنفعِ منهم لا يكون من عارفٍ بهم البتة؛ بل من جاهلٍ بشأهم وجاهلٍ بريه؛ فمن عرف الناسَ أنزلهم منازلهم، ومن عرف اللهَ أخلصَ له أعماله وأقواله وعطاءه ومنعه وحبّه وبغضه".

نسأل الله الكريم بمنه أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، والفعل والتترك ، وأن يجنبنا الرياء والعجب . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .